

والى جانب الأثر الذي قام به التجار المسلمون في نشر الإسلام وتعاليمه بتلك المناطق كان للطرق الصوفية أثر بارز ومؤثر في كسب إقبال السكان على الإسلام واعتناقهم لمبادئه، وتجلّى هذا الأثر بشكل واضح في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ فقد بذل دعاة السنوسية جهداً كبيراً أدخلوا به فريقاً كبيراً من قبيلة بيلي التي كانت لا تزال على الوثنية إلى الإسلام. ونزل دعاة السنوسة إلى بلاد بتستي جنوب واحة فزان، ونجحوا في تعليم مبادئ الإسلام وأخلاقه؛ ونجحوا كذلك في نشر الإسلام في بلاد وادي والجلا وحول بحيرة تشاد وفي بلاد كانم وباجرمي ودارفور.

ودخل السنوسيون في حرب طاحنة ضد فرنسا وإيطاليا في العصر الحديث.

* المعارك التي خاضها المسلمون الأوائل لنشر الإسلام في شمال إفريقية:

برقة:

كان اسم برقة يطلق قديماً على المنطقة الممتدة إلى الغرب من الحدود المصرية، وكانت وفقاً للتقسيم الإداري البيزنطي القديم تُعدّ جزءاً من مصر. ويستخدم الآن (المنطقة الشرقية من ليبيا) بدلاً من استخدام (برقة)، كما تستخدم (المنطقة الغربية) بدلاً من (فزان).

وكان لبرقة عبر التاريخ أثر بارز في انتشار الإسلام في الشمال الإفريقي بصفتها القاعدة التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية غرباً وجنوباً لتوسيع الرقعة التي تفرغ عليها راية الإسلام، بل كانت برقة كذلك هي محط أنظار الدول الإسلامية المستقلة التي قامت في غرب إفريقيا في المغرب والجزائر وتونس وغيرها بصفتها البوابة المؤدية إلى مصر وما وراءها من بلاد العالم الإسلامي شرقاً. ولا غرابة إذن في أن يسير قادة الموحدين ٥٢٤هـ - ٦٦٨هـ / ١١٣٠ - ١٢٦٩م، بشورتهم الدينية التصحيحية إلى الشرق ومعهم أفكارهم التصحيحية ليصلوا بها إلى برقة بعد أن هزموا النورماندين الذين كانوا يحتلون المهديّة، بل لا عجب أيضاً أن يظل اسم برقة يتردد عبر التاريخ بين حكام ممالك ودول الإسلام. فبرقة تابعة للفاطميين وللأيوبيين، يحكمونها من مصر، وهي كذلك تابعة للمماليك ثم العثمانيين الذين جعلوها ولاية من ليبيا.

دخل الإسلام برقة على يد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الذي كان قد أتم فتح مصر عام ٢٢هـ / أوائل ٦٤٣م، بعد قتال يسير مع سكانها مع اللواتين واليهواريين من البربر الزناتية. واتخذها عمرو بن العاص قاعدة انطلق منها لفتح طرابلس، ومدّ حدود الدولة الإسلامية غرباً حتى ولاية إفريقية البيزنطية عند بلدة قايس بتونس.

وعندما هُزم حسان بن النعمان الغساني - وكان والياً على إفريقية خلال الفترة ٧١ - ٨٥ هـ / ٦٩٠ - ٧٠٤ م - من الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة الصنهاجية في الغرب الأوسط تحصن حسان في برقة انتظاراً للمدد من دمشق، حتى أتاه المدد فهزم الكاهنة وقتلها في جبال الأوراس . وحرص حسان أن يضع لبرقة النظم الإدارية الكفيلة بحسن سير الأعمال فيها بصفتها جزءاً من ولاية المغرب الكبيرة

وعندما اجتاحت إفريقية الثورة ضد المذهب الشيعي في عام ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م بدأ سكان برقة يعودون إلى المذهب المالكي، وأبطلت الخطبة بمساجدها للفاطميين عام ٤٣٣ هـ / ١٠٥١ م، فما كان من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إلا أن شجع القبائل العربية التي تقطن الصحراء الشرقية بصعيد مصر على الرحيل إلى برقة، مستعدياً إياهم على المعز بن باديس الصنهاجي والي إفريقية إذ ذاك، وأعطى كلا منهم بغيراً وديناراً، وقال لهم: «أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس»، فطع أفراد تلك القبائل، واجتازوا النيل إلى برقة عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م، ونزلوا بها واقتحموا أمصارها واستباحوها . وأقاموا بها حكماً قليلاً مستقلاً ظل قائماً بها حتى عصر الأيوبيين ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م.

وعادت برقة إلى مصر طوال أيام حكم الأيوبيين ٥٦٤ - ٦٤٨ هـ / ١١٦٩ - ١٢٥٠ م، والمماليك ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م، وعندما تراخى حكم المماليك بسبب اضطراب الأحوال الاقتصادية إثر اكتشاف رأس الرجاء الصالح عاد إليها الحكم القبلي .

وإبان حكم العثمانيين لليبيا ٩٥٨ - ١١١٤هـ / ١٥٥١ - ١٧١١م ظهر اتجاه
لكوين قطر واحد من المناطق الثلاث بليبيا (برقة، وطرابلس، وفزان)، وكان
يطلق عليها جميعها طرابلس الغرب.

وكان لبرقة دور وطني مجيد في مقاومة الاحتلال الإيطالي؛ فقد احتلت
إيطاليا بني غازي ودرنة وطبرق - من مدن برقة - في عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، إلى
جانب احتلالها لطرابلس الغرب، وقامت ببرقة حركة السنوسيين لمناهضة
الاستعمار الإيطالي، ووقعت معارك شهيرة ضد الإيطاليين انتصر فيها الليبيون،
منها درنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م، ومرسى سوس، والبورت، والزاوية البيضاء.

أما معركة القرصائية التي وقعت في ٢٩ / ٤ / ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م، فقد
كنت نصراً مؤزراً للسنوسيين، وانتهت بتمزيق الإيطاليين ومحاصرتهم.

ورغم أن إيطاليا قد أعلنت طرابلس الغرب وبرقة خاضعتين خضوعاً مطلقاً
للسيادة الملكية الإيطالية في ٢٥ فبراير ١٩٢٢م / ١٣٤١هـ فقد نجح الليبيون بقيادة
عمر المختار - الذي كان جميع سكان برقة تحت نفوذه كقائد للثورة - في كفاحهم
ضد الإيطاليين، وحصلت ليبيا على استقلالها في عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م،
كسولة ملكية موحدة ثم قامت الجمهورية الليبية في عام ١٩٦٩م.